د. محمد سالم الفيتوري
قسم اللغة العربية / كلية اللغات / جامعة طرابلس

المعجم العربي و أثره في حماية اللغة العربية و تطويرها

1. تمهيد:

العربية وخطر الغزو الثقافي الذي تتعرض له:

ما أشبه الليلة بالبارحة ! لقد ظهرت المعاجم أول ما ظهرت بسبب خوف العرب على لغتهم مما قد طرأ عليها إبّان صدر الإسلام من تغيّر بفعل دخول الكثير من الشعوب و الأعراق الأخرى في دين الله أفواجا ممن يتحدثون لغات مختلفة بعيدة عن العربية، فانبرى العديد من العلماء للتصدي لهذه الظاهرة بمحاولات لجمع شتات اللغة بداية بتدوين المفردات المفككة و المبعثرة، ثم بتجميع المفردات و تصنيفها في كتب تتحدث عن موضوع واحد، فظهرت الكتب ذات الموضوع الواحد، ثم تطور الأمر فظهرت المعاجم التي تحتوي على مفردات اللغة مرتبة على نسق معين يسهل البحث عنها، و الوصول إليها بدأ من كتاب العين للخليل بن أحمد؛ و اليوم نلحظ غزوًا آخر يتهدد العربية ولكن من الداخل، حيث نرى عزوف أبناء العربية عن استعمالها حديثا و كتابة، و نشاهد ـ بفعل تطور وسائل التواصل الحديثة بين الشعوب ـ دخول الكثير من المفردات و الأساليب من كثير من اللغات الأخرى في حياتنا اليومية، بل قد لا يخلو حديث يدور بين اثنين كلمات أعجمية، وقد تصل نسبتها في بعض الدول العربية إلى ما يقرب الثلث، فالعربي من المشرق قد لا يستطيع فهم ما يتحاور به أهل المغرب، و الأدهى و الأمرّ أن العربية كلغة للتعليم في كثير من البلدان العربية بدأت تتراجع لتهيمن اللغات الأوربية على مصادر العلم و البحث، بل و على لغة الخطاب في الكثير من

قاعات المحاضرات في العديد من التخصصات، بدعوى عدم توفر مصادر التخصص بالعربية أحيانا، و بدعوى التواصل مع الغرب و عدم الانقطاع عن التطور العلمي أحيانا أخرى.

إن المدرك لهذا الخطر الدّاهم، وما يتهدد الحضارة العربية ليعلم علم اليقين أن أخطر ما قد تصل إليه أمة من الانحطاط أن تفقد هويتها، و رمز وحدتها و تفردها.

قد يحلو للبعض القول: إن رقيّ اللغة و انحطاطها يتبع ما يمر به أهلها من رفعة و تميز في كافة مناحي الحياة الفكرية و الاقتصادية و السياسية إلخ ... أو انحطاطها، لكن المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على العلماء والمفكرين و السّاسة لمجابهة هذه الهجمة الشرسة لطمس هويتنا، و ذلك بتكاثف الجهود و تنسيق المواقف و توحيدها بين أبناء كل البلاد العربية الغيورين على لغتهم و رمز وحدتهم، إذ لا يمكن أن نصل إلى حلول جذرية لهذ الضعف اللغوي المستشري بيننا بجهود فردية، و لا بمحاولات محدودة و مبعثرة.

2. **أهمية المعجم اللغوي في حماية اللغة:**

لا شك أن البحث عن حلول فاعلة لهذ الدّاء ينبغي أن يتم في خطوط متوازية على كافة الصعد، و بكافة الوسائل و الطرق، و بتظافر الجهود من كافة لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالجوانب العلمية و الفكرية و الإعلامية و السياسية و الاقتصادية ، بل لن نجانب الصواب إذا قلنا: إن جميع شرائح المجتمع مسؤولة عن هذا الأمر، و قد يأتي في طليعتهم القائمون على تعليم اللغة العربية و دراستها بكافة المراحل و المستويات.

و لعل من العوامل المعينة على تحقيق هذا الهدف توفير المعاجم اللغوية المعينة على توفير المفردات و الأساليب الفصيحة و الصحيحة التي تبث في اللغة روحا جديدة مفعمة بالحيوية، تعكس الواقع المعاش بكل أبعاده، و تبتعد عن الغرابة و الخيال.

أن توفير المعاجم اللغوية بكافة أنواعها، و لكل المستويات لمن العوامل المهمة التي تعين على تحقيق الحصانة لهذه اللغة من التغريب و الانحدار، و المناعة ضد ما يحاك لها من غزو و اندثار.

3. أهمية المعجم و فوائد استعماله:

إن أهم فوائد المعاجم هي:

أ- المحافظة على اللغة و حمايتها، و ضمان سلامتها.

ب- الكشف عن معاني الألفاظ الغامضة و المجهولة.

ت- مواكبة اللغة للتطور العلمي و الفكري.

ث- معرفة المستعمل و المهمل من مفردات اللغة.

ج- ضبط الألفاظ ضبطا صحيحا.

ح- تأصيل الكلمات و معرفة كافة اشتقاقاتها.

خ- تمييز المعرّب و الدخيل عن العربي الفصيح.

د- تمييز العامي عن الفصيح.

ذ- التعرض لبعض الظواهر اللغوية كالترادف و التضاد، و المشترك اللفظي ...

ر- التعرض للدلالات اللغوية في ضوء التطور اللغوي و الاستعمالات المعاصرة.

ز- التمييز بين الدلالة المركزية و الهامشية السياقية للألفاظ.

س- بيان النطق ، و يدخل فيه التقسيم المقطعي، وموضع النبر.

ش- تحديد الرسم الإملائي، أو الهجاء.

ص- التعرض لبعض الظواهر الاجتماعية و النفسية.

ض- نقل و عرض صورة دقيقة و واضحة للأشكال و التصاميم و المجسمات قيد الشرح.

إلى غير ذلك من الفوائد العامة و الخاصة التي تعين على استخدام اللغة و التفاعل معها، و الحفاظ عليها، و توضيح ما يشكل من مصطلحات.

4. معايير تصنيف المعاجم.

عن إخضاع المعاجم و القواميس للتقييم و الدراسة البحثية النقدية ينبغي ملاحظة هذه المعايير:

أ- الهدف الذي من أجله أنشئ المعجم.

ب- المحتوى اللغوي:

ت- كثافة المدخل:

ث- طريقة ترتيب المداخل:

ج- طبيعة المدخل:

ح- طريقة الشرح:

خ- العلاقة بين لغة المدخل و لغة الشرح عند اختلافهما.

د- درجة الاهتمام بالمادة الموسوعية:

5. تصنيف المعجمات وأنواعها بحسب الهدف:

يمكن تصنيف المعاجم بحسب الهدف الذي من أجله وضع المعجم إلى:

1. لغوية عامة وهي التي تهدف إلى حصر و شرح مفردات اللغة، و تشمل:

أ- معجمات المعاني: و تهتم بالحديث عن معنى أو معان محددة تربطها علاقة واضحة، و حصر كافة المفردات و الأساليب التي لها علاقة بذلك المعنى، و هي تفيد في جمع كل ما له علاقة بالمعنى محل البحث، كالكتب التي تتحدث عن حيوان بعينه، أو عادة معينة، أو شيء محدد كالسلاح أو اللباس إلخ...

ب- معجمات الألفاظ: و تهتم بحصر و شرح مفردات اللغة بصفة عامة للمساهمة في حفظ اللغة و شرح معان مفرداتها و أساليبها.

2. تخصصية: و تختص بالكتابة عن فن معين، أو تخصص محدد، كالهندسة أو الزراعة، الفلك، أو الطب إلخ ...

6. تطور المعجم العربي:

مر المعجم العربي بخمس مراحل هي:

- مرحلة النظام الصوتي، ونظام التقليبات و يمثلها:
  - العين للخليل.
  - تهذيب اللغة للأزهري.
  - البارع للقالي.
  - المحكم لابن سيدة.
  - مختصر العين للزبيدي.
- مرحلة النظام الألف بائي الخاص و يمثلها:
  - مقاييس اللغة لابن فارس.
  - المجمل لابن فارس.
  - جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي.
- مرحلة نظام التقفية و يمثلها:

- الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية " للجوهري.
- لسان العرب لابن منظور.
- القاموس المحيط للفيروز أبادي.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.

- مرحلة النظام الألف بائي العادي مثل:
  - أساس البلاغة للزمخشري.
  - محيط المحيط لبطرس البستاني.
  - المنجد للويس معلوف.
  - المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- مرحلة النظام الألف بائي النطقي "دون تجريد" و يمثله:
  - المرجع للعلايلي.
  - الرائد لجبران مسعود.
  - المنجد الأبجدي لفؤاد البستاني.
  - لا روس لخليل الجر.

7. أنواع الأعمال المعجمية:

يمكن تصنيف الأعمال المعجمية و باعتبارات مختلفة إلى:

1. قائمة الألفاظ.
2. المعجمات المفهرسة.
3. المعجمات الفردية.
4. المعجم السياقي.

5. الكنز اللغوي.
6. معجمات المراحل.
7. معجمات أصول المفردات "المعجمات التأصيلية".
8. معجمات المترادفات.
9. المعجمات المصورة.
10. معجمات المعاني.
11. معجمات النطق.
12. المعجمات الإملائية.
13. المعجمات التخصصية.
14. معجمات الألفاظ الأساسية.

8. المعجم التعليمي لمراحل التعليم المختلفة:

يتدرج المعجم التعليمي بحسب المرحلة العمرية والتعليمية التي يخاطبها، و يختلف في محتواه و مكوناته بحسب تلك المرحلة، و بحسب الهدف الذي وضع من أجله، و هل هو معجم عام أو ذو طابع تخصصي، وبالتالي مدى قربه أو بعده عن الصفة الموسوعية، و التصويرية تبعا لهدفه.

9. الحاسوب وصناعة المعجم:

مما لا يختلف فيه اثنان أن الحاسوب قد غزى كافة مناحي الحياة، و لابد منتسخير هذا الجهاز لمصلحة العلم و التعليم، و في مقدمة ذلك صناعة المعجم الحديث الشامل و الدقيق و المتطور و ذلك لما لهذا الحاسوب من قدرات عظيمة في البحث و التحليل، و تصنيف النتائج، و إظهارها بأشكال متعددة، و وسائط كثيرة، بالإضافة لإمكانية الربط بين مختلف المنظومات و قواعد البيانات من أجل الوصول لفوائد أعم و أفضل.

10. المعجم الإلكتروني:

بدأ ظهور المعجم الإلكتروني بتوسع انتشار الحواسيب و وسائل الاتصال، وظهر العديد من أنواع المعاجم الإلكترونية المنفصلة على هيئة مترجمات متعدد اللغة، أو مفردة شارحة لمعاني المفردات، كما ظهرت برمجيات كثيرة و متنوعة تحمل الكثير من المعاجم التراثية التقليدية على هيئة إلكترونية تسهل الحصول على المعلومة، بالإضافة إلى سهولة نقلها و استخدامها.

بالإضافة إلى ذلك ظهرت المعاجم الآنية التي يمكن طلبها على مدار الساعة عبر شبكة المعلوات الدولية " الإنترنت".

و المدقق في كافة هذه المعاجم وبصفة خاصة العربية منها يلحظ أنها لا تعد كونها عملية تخزين و استرجاع لمعلومات بسيطة موضوعة بقاعدة بيانات، و لا تهتم مثل هذه المعاجم بالنواحي الموسوعية، أو التحليلة كما عليه الحال في الكثير من المعاجم الدولية المكتوبة بلغات أخرى كالإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية إلخ... ناهيك عن وضع تصنيف لمدى انتشار استخدام المداخل على المستوى الأفقي الجغرافي الذي يساعد على معرفة المفردات المحكية فعليا على مستوى الشارع أو على المستوى الرسمي، أو العلمي أو الثقافي.

11. الإحصاء اللغوي و إنشاء قاعدة البيانات لمفردات اللغة المستخدمة فعليا:

لا يمكن لأي فرد أو مؤسسة تحاول وضع معجم علمي دقيق و متكامل أن تصل إلى مبتغاها دون المرور بالمرحلة الأولى و المهمة والمتمثلة في حصر مفردات اللغة المستخدمة فعليا في المجتمع و على كافة المستويات العلمية و الفكرية، و الإعلامية بكافة مناحي الحياة اليومية بالمجتمع محل الدراسة و هدفها من جميع الجوانب المكتوبة و الملفوظة.

و عن طريق هذا المسح تنشأ قاعدة بينات ضخمة يمكن تصنيف محتواها من حيث كثرة وقلة الاستخدام، و نوعيته.

بناء على ذلك يمكن وضع أسس لبناء معجم حديث و بطرقة علمية دقيقة و مفيدة، و على هيئات متعددة ورقية أو مسموعة أو مرئية أو إلكترونية لتتناسب مع ذوي الاحتياجات العامة و الخاصة.

12. التحليل الصرفي و الاشتقاق الآلي و دوره في إثراء المعجم العربي:

لا شك أن من مزيات المعجم الحديث بالإضافة لقاعة البيانات الشاملة اعتماده على التحليل الصرفي، و الاشتقاق الآلي لكافة تصاريف المدخل محل الشرح، مما يثري العمل المعجمي و يكسبه بعدا أقوى في تحليل المفردات.

13. صناعة المعجم كعمل مؤسسي، والمسؤولية الوطنية و العربية لتحقيقه:

إن وضع معجم لغوي يتصف بالدقة، و الوضوح، و الشمولية، و يواكب التطور اللغوي للعربية الحديثة لهو عمل ضخم لا يمكن لفرد أو مؤسسة محدودة الموارد و الإمكانات أن تنهض به لما يحتاجه من عمل كبير يتطلب إجراء مسح كامل لكافة المصادر العلمية والثقافية المكتوبة و المقروءة و المرئية على كافة الصُعُدِ و وضع نتائج هذا المسح في قاعدة بيانات ضخمة متطورة تواكب ما يجد كل يوم على كافة الساحات، و قد يطرأ على مفردات اللغة من تطور أو زيادة أو نقص، ثم وضع برامج تفاعلية لصقل هذه اللغة و إظهارها على هيئة معجم حديث متكامل و متناسق و متطور، و واقعي يعكس اللغة المحكية لا اللغة المروية، و هذا العمل لا بد له من رعاية من قبل مؤسسة علمية متخصصة تتكفل بها دولة ذات موارد متوفرة، و إرادة قوية، و عزيمة صلبة تطمح لتحقيق هذا الهدف الأسمى، و الغاية العظمى، أو تتعهد به جامعة الدول العربية ممثلة في مؤسساتها و منظماتها المختصة بالتربية و العلوم و الثقافة.

14. خاتمة:

لذا ينبغي أن ننبه ذوي الأمر إلى خطورة ما يحيق بالعربية من مخاطر، و أن نرشدهم إلى أفضل و أيسر و أنجح السبل لحمايتها و الرفة من شأنها، و من أهم هذه الوسائل و ضع معجم " كنز " لغوي يحوي اللغة و يحميها.

و إن إقامة مثل هذه المؤتمرات ليعتبر من جليل الأعمال، الموصلة لعظيم الآمال، و المحققة لأحلام الأجيال.

15. المصادر و المرجع:

1. صيني، محمود إسماعيل، تعليم اللغات باستخدام الحاسب الآلي، المجلة العربية للدراسات اللغوية (الخرطوم) المجلد2، العدد2، 1982م.
2. علي، نبيل، اللغة العربية و الحاسوب، الرياض، دار تعريب، ط1، 1988م.
3. علي، نبيل، و حجازي، نادية، الفجوة الرقمية رؤية عربية لمجتمع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 318 أغسطس 2005م.
4. عمر، أحمد مختار، صناعة المعجم العربي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2.
5. الفيتوري، محمد سالم: دراسة إحصائية لمعجم مقاييس اللغة باستخدام الحاسوب، رسالة ماجستير في علم اللغة العربية، كلية اللغات ، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا، 1995م.
6. الفيتوري، محمد سالم: معلقة زهير بن أبي سلمى، دراسة حاسوبية لغوية: صوتيا و صرفيا و نحويا و دلاليا، رسالة دكتوراه في اللسانيات الحاسوبية، كلية الآداب و الفلسفة، جامعة أوتونوما، مدريد، إسبانيا، 2007م.
7. موسى، على حلمي و شاهين، عبد الصبور: دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر، مطبوعات جامعة الكويت، مطابع دار السياسة.
8. موسى، على حلمي : دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكومبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1978م.

9. نصار، حسين، المعجم العربي، نشأته و تطوره، دار مصر للطباعة، مصر، 1986م، الطبعة الثانية